تفريغ محاضرة

سُنَنٌ مهجُورَةٌ

رواء الاثنين | د.هند القحطاني

٢٠-٤-١٤٤٤ هـ

"سُنَنٌ مهجُورَةٌ"

بسمِ اللهِ الرّحمنِ الرّحيمِ

إنّ الحمدَ للهِ نحمدُه، ونستعينُه ونستهديه، ونعوذُ باللهِ من شرورِ أنفسِنا وسيّئات أعمالِنا، منْ يهدِه اللهُ فلا مُضِلَّ له، ومنْ يضلّه فلا هاديَ له، وأشهدُ أنْ لا إلهَ إلّا اللهُ، وأنّ مُحمّدًا عبدُه ورسولُه.

سنتحدّثُ في هذه المحاضرة عن السُّنن المهجورة أو المنسيّة التي كان يفعلُها النّبي ﷺ، والتي لا بدّ لنا أنْ نتدارسَها وذلك لعدّة أسبابٍ، منها:

1- **<u>الأجرُ العظيمُ</u>**:

من المؤكّدِ أنّ تاركَ سُنَنِ رسولِ اللهِﷺ لا يُعاقَبُ على تركِها، إلّا أنّه إذا فعلها فثوابُه كبيرٌ، والدّليل ما حَدَّثَنَا به كَثِيرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ عَوْفٍ الْمُزَنِيُّ قَالَ: حَدَّثَنِي أَبِي، عَنْ جَدِّي، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: **"مَنْ أَحْيَا سُنَّةً مِنْ سُنَّتِي، فَعَمِلَ بِهَا النَّاسُ، كَانَ لَهُ مِثْلُ أَجْرِ مَنْ عَمِلَ بِهَا، لَا يَنْقُصُ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْئًا، وَمَنْ ابْتَدَعَ بِدْعَةً، فَعُمِلَ بِهَا، كَانَ عَلَيْهِ أَوْزَارُ مَنْ عَمِلَ بِهَا، لَا يَنْقُصُ مِنْ أَوْزَارِ مَنْ عَمِلَ بِهَا شَيْئًا"**[1].

وعَنِ الْمُنْذِرِ بْنِ جَرِيرٍ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **"مَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً حَسَنَةً، فَلَهُ أَجْرُهَا، وَأَجْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا بَعْدَهُ، مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْءٌ "**[2].

ويقول النّووي -رحمه الله- في هذا الحديث: **"وفيه الحثُّ للابتداء بالخيرات وسَنِّ السُّنن المُستحَبّات، والتحذيرُ من اختراعِ الأباطيلِ والبِدَعِ المعروفة".**

ويقول ابن عُثيمين -رحمه الله- مُتحدِّثًا عن حديث المنذر بن جرير: **"أيْ عَمِلَ بها ونفَّذَها واقتدى بها، أو أحيا سُنّةً قد أُميتتْ فعَمِلَ بها، وعُمِلَ بها من بعده".**

---

[1] أخرجه ابن ماجة في سننه، وصحّحه الألباني لغيره.

[2] أخرجه مسلم في صحيحه.

2- **تحصينُ الفرائض**:

فالسّننُ بمثابة السُّورِ الذي يحيطُ بالعباداتِ المفروضة ويحميها، فقد علّمَنا رسول الله ﷺ أنّ المُواظبةَ على السُّننِ تُعوِّضُ النّقصانَ الذي يقعُ فيه العبدُ في تأديتِها لفريضة، فإنْ أتى اللهَ تعالى بتقصيرٍ في صيامٍ مفروضٍ -مثلًا- كانتْ له تلك السُّنن جبرًا لذلك النّقص، أمّا إنْ أتى اللهَ تعالى بتقصيرٍ ولم يكنْ عنده مِن السُّنن ما يسدُّ له مثلَ تلكَ الثّغرات فكأنّه أضاعَ تلك الفريضةَ برُمّتِها، وإليك-أخي المسلم- نموذجٌ عن ذلك التّفريط:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "مَنْ لَمْ يَدَعْ قَوْلَ الزُّورِ وَالعَمَلَ بِهِ، فَلَيْسَ لِلَّهِ حَاجَةٌ فِي أَنْ يَدَعَ طَعَامَهُ وَشَرَابَهُ"[3].

3- **تمكينُ الأمرِ بالمعروفِ والنّهي عنِ المُنكَرِ**:

ذلك أنّنا مأمورون بالأمرِ بالمعروفِ والنّهي عن المنكر، وإحياءُ السّننِ النّبويّةِ خيرُ طريقٍ لتطبيقِ تلك القاعدة، يقول الشّيخ ابن عثيمين -رحمه الله-:**"وينبغي للإنسانِ أنْ يحييَ السّننَ التي أُميتتْ حتّى لا يكونَ المعروفُ منكرًا".**

فإذا أصبحَ الإنسانُ ممّن يأمرُ بالمنكرِ وينهى عن المعروفِ فقد دخلَ في دائرةِ النّفاقِ العقائديّ، وكانت جهنّمُ مصيرَه والعياذُ بالله، يقول الحقُّ جلّ وعلا: ﴿الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ ...﴾ (التّوبة: 67).

❖ بعضُ السُّنَنِ المهجورة:

السّنّةُ الأولى: إتمامُ الوضوءِ:

- قَالَ رسول الله ﷺ: "أَسْبِغِ الْوَضُوءَ، وَخَلِّلْ بَيْنَ الْأَصَابِعِ، وَبَالِغْ فِي الِاسْتِنْشَاقِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ صَائِمًا"[4].**[أسبغْ:**أي وَفِّ كلَّ عُضوٍ من الأعضاء المطلوبة حقَّهُ في الغسل].

[3] أخرجه البخاري في صحيحه.

[4] أخرجه أبو داود في سننه، وصحّحه الألباني.

[**خلّلْ بين الأصابع:** أي باعِدْ بينها، ومَرِّرْ الماء بينها]، وهذا يشملُ أصابعَ اليدين والقدمين، فقد كان النبيّ ﷺ يُفَرِّجُ بين أصابعِ قدميه ويُدخِلُ خِنصرَه بينها أثناءَ وضوئِه.

[**بالغْ في الاستنشاق:** أي صِلِ الماءَ إلى أقصى الأنف، ولا تكتفِ بإيصاله إلى أرنبة الأنف]، فبعضُنا-هدانا اللهُ وإيّاكم- مرّتِ السّنينُ عليه وهو يتوضّأُ دون أنْ يُدخِلَ الماءَ إلى المكان الذي نصح به رسول الله ﷺ، وقد رأينا الفوائدَ الطّبيّةَ والعِلميّةَ للاستنشاقِ وتنظيف الجيوبِ الأنفيّة أثناءَ انتشارِ وباءِ كورونا، فهي من أهمِّ وسائل سلامةِ الجهاز التّنفُّسيِّ، فالهديُ النبويُّ أكمَلُ الهديِ وأفضلُه عَرَفْنا فوائدَه أم جَهِلْناها.

[**إِلَّا أَنْ تَكُونَ صَائِمًا:** هذا الاستثناءُ للاستنشاقِ فقط، لا للتّخليلِ والإسباغ].

- وعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضيَ الله عنه أَنَّهُ"تَوَضَّأَ فَغَسَلَ وَجْهَهُ، أَخَذَ غَرْفَةً مِنْ مَاءٍ، فَمَضْمَضَ بِهَا وَاسْتَنْشَقَ، ثُمّ أخذَ غَرْفةً مِنْ مَاءٍ فَجَعَلَ بِهَا هَكَذَا، أَضَافَهَا إِلَى يَدِهِ الأُخْرَى، فَغَسَلَ بِهِمَا وَجْهَهُ، ثُمّ أَخَذَ غَرْفَةً مِنْ مَاءٍ فَغَسَلَ بِهَا يَدَهُ اليُمْنَى، ثُمّ أَخَذَ غَرْفَةً مِنْ مَاءٍ فَغَسَلَ بِهَا يَدَهُ اليُسْرَى، ثُمّ مَسَحَ بِرَأْسِهِ، ثُمّ أَخَذَ غَرْفَةً مِنْ مَاءٍ فَرَشَّ عَلَى رِجْلِهِ اليُمْنَى حَتَّى غَسَلَهَا، ثُمّ أَخَذَ غَرْفَةً فَغَسَلَ بِهَا رِجْلَهُ، أي اليُسْرَى، ثُمّ قَالَ: هَكَذَا رَأَيْتُ رَسُوْلَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَتَوَضَّأُ"[5].

فما المانعُ -أخي في الله- مِن أنْ تجمعَ بين أجورِ الوضوءِ وأجورِ إحياءِ السُّنّة؟

السّنّةُ الثّانية: ترديد الأذان:

- عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: "إِذَا سَمِعْتُمُ النِّدَاءَ، فَقُولُوا مِثْلَ مَا يَقُولُ المُؤَذِّنُ"[6].

[5] أخرجه البخاري في صحيحه.

[6] أخرجه البخاري في صحيحه.

- ثمّ فصّلَ الرسولُ ﷺ؛ فعن عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: "إِذَا قَالَ الْمُؤَذِّنُ: اللهُ أَكْبَرُ اللهُ أَكْبَرُ، فَقَالَ أَحَدُكُمْ: اللهُ أَكْبَرُ اللهُ أَكْبَرُ، ثُمَّ قَالَ: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، قَالَ: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، ثُمَّ قَالَ: أَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ قَالَ: أَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، ثُمَّ قَالَ: حَيَّ عَلَى الصَّلَاةِ، قَالَ: لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ، ثُمَّ قَالَ: حَيَّ عَلَى الْفَلَاحِ، قَالَ: لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ، ثُمَّ قَالَ: اللهُ أَكْبَرُ اللهُ أَكْبَرُ، قَالَ: اللهُ أَكْبَرُ اللهُ أَكْبَرُ، ثُمَّ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ مِنْ قَلْبِهِ دَخَلَ الْجَنَّةَ"[7].

- وَعنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ، أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: "إِذَا سَمِعْتُمُ الْمُؤَذِّنَ، فَقُولُوا مِثْلَ مَا يَقُولُ ثُمَّ صَلُّوا عَلَيَّ، فَإِنَّهُ مَنْ صَلَّى عَلَيَّ صَلَاةً صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ بِهَا عَشْرًا، ثُمَّ سَلُوا اللهَ لِيَ الْوَسِيلَةَ، فَإِنَّهَا مَنْزِلَةٌ فِي الْجَنَّةِ، لَا تَنْبَغِي إِلَّا لِعَبْدٍ مِنْ عِبَادِ اللهِ، وَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَنَا هُوَ، فَمَنْ سَأَلَ لِي الْوَسِيلَةَ حَلَّتْ لَهُ الشَّفَاعَةُ"[8].

- وعَنْ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ، عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: "مَنْ قَالَ حِينَ يَسْمَعُ الْمُؤَذِّنَ أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، رَضِيتُ بِاللهِ رَبًّا وَبِمُحَمَّدٍ رَسُولًا، وَبِالْإِسْلَامِ دِينًا، غُفِرَ لَهُ ذَنْبُهُ"[9].

فيا له من خيرٍ عظيمٍ! تحصلُ على كلِّ هذه الأجور في ثوانٍ قليلةٍ؛ غفرانِ الذّنوب، شفاعةِ النبي ﷺ، ودخولِ الجنّة، لذلك نلاحظُ أنّ بعضَ الصّالحين عندما يسمعونَ النّداءَ يقطعون أحاديثَهم لِيردّدوا وراءَ المؤذّنِ لِمَا في ذلك من الأجرِ العظيم، وبعضُهم يُغلِقُ المُصحفَ قليلًا إذا سمعَ الأذان، ثمّ يتابعُ القراءةَ بعد انتهائه، لِيجمعَ بين الخيرين: خيرِ قراءةِ القرآنِ وخيرِ إحياءِ السُّنَةِ.

فما بالُ أناسٍ -أثناءَ الأذان- يستمرّونَ بِلَهْوِهم وغِيبتِهم واستماعِهم للأغاني...!! أَلَا يُوقِعُ الأذانُ في قلوبِهم رهبةً ولو مُؤقّتة؟ ولذلك كثيرًا ما تجدُهم مُكتئِبين، مهمومين، قلوبُهم مُثقَلةٌ، أَلَا يستغلّون مِثلَ هذه الفُرصِ العظيمة؟ أم رانَ على قلوبِهم ما كانوا يكسِبون؟ نسألُ اللهَ العافية.

---

[7] أخرجه مسلم في صحيحه.

[8] أخرجه مسلم في صحيحه.

[9] أخرجه مسلم في صحيحه.

السّنّةُ الثّالثة: الصّلاة:

سُنَنُ الصّلاة كثيرةٌ، منها:

1- سَتْرُ الصّلاة:

- عن عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ رضي اللهُ عنه، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: **"إِذَا كَانَ أَحَدُكُمْ يُصَلِّي فَلَا يَدَعْ أَحَدًا يَمُرُّ بَيْنَ يَدَيْهِ، فَإِنْ أَبَى فَلْيُقَاتِلْهُ، فَإِنَّ مَعَهُ الْقَرِينَ"**[10].

والمقصود: إذا دخلَ المصلّي في صلاته، وقد وضعَ أمامَه سُترةً؛ لِتستره من النّاس، حتّى لا يُنقصوا صلاتَه بمرورِهم بين يديه، وأقبلَ يناجي ربَّه، فأراد أحدٌ أن يجتازَ بين يديه، فليدفعْ بالأسهلِ فالأسهل، فإنْ لم يندفعْ بسهولةٍ ويُسرٍ، فقد أسقطَ حرمتَه، وأصبحَ معتديًا، ويجوز وقفُ عدوانِه بالمقاتلةِ بدفعهِ باليد، فإنّ عملَه هذا من أعمالِ الشّياطين، الذين يريدونَ إفسادَ عباداتِ النّاس، والتّلبيسَ عليهم في صلاتِهم، وقَصَدَ الرسولُ ﷺ بـ **(القرين)**: المُقارِنَ المُصاحِبَ من شياطينِ الجنّ.

- وعَنْ مُوسَى بْنِ طَلْحَةَ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **"إِذَا وَضَعَ أَحَدُكُمْ بَيْنَ يَدَيْهِ مِثْلَ مُؤْخِرَةِ الرَّحْلِ فَلْيُصَلِّ، وَلَا يُبَالِ مَنْ مَرَّ وَرَاءَ ذَلِكَ"**[11].

]مُؤخِّرة الرّحل: هي الْعُودُ الَّذِي فِي آخِرِ الرَّحْلِ[، وفي هَذَا الْحَدِيث دعوةٌ إِلَى السُّتْرَةِ بَيْن يَدَيِ الْمُصَلِّي وَبَيَانِ أَنَّ أَقَلّ السُّتْرَة مُؤْخِرَةُ الرَّحْل وَهِيَ قَدْرُ عَظْمِ الذِّرَاع.

- وعَنِ ابْنِ عُمَرَ -رضي اللهُ عنهما- أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ **"كَانَ إِذَا خَرَجَ يَوْمَ العِيدِ أَمَرَ بِالحَرْبَةِ، فَتُوضَعُ بَيْنَ يَدَيْهِ، فَيُصَلِّي إِلَيْهَا وَالنَّاسُ وَرَاءَهُ، ..."**[12].

أي أمرَ خَادِمَهُ بِحَمْلِ الْحَرْبَةِ؛ لأنّهم كانوا في العيدِ يصلّون في الفضاء، **[وَالنَّاسُ**: بالرَّفْعِ عَطْفًا عَلَى فَاعِلِ فَيُصَلِّي، أي ويصلي النّاسُ وراءَه].

---

[10] أخرجه مسلم في صحيحه.

[11] أخرجه مسلم في صحيحه.

[12] أخرجه البخاري في صحيحه.

- وعن ابْنَ عُمَرَ -رضي الله عنهما- قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: **"لَا تُصَلِّ إِلَّا إِلَى سُتْرَةٍ وَلَا تَدَعْ أَحَدًا يَمُرُّ بَيْنَ يَدَيْكَ ..."**[13].

- وعَنْ سَهْلِ بْنِ أَبِي حَثْمَةَ، يَبْلُغُ بِهِ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: **"إِذَا صَلَّى أَحَدُكُمْ إِلَى سُتْرَةٍ فَلْيَدْنُ مِنْهَا لَا يَقْطَعِ الشَّيْطَانُ عَلَيْهِ صَلَاتَهُ"**[14].

- وَرَأَى عُمَرُ بنُ الخطّاب -رضي الله عنه- رَجُلًا يُصَلِّي بَيْنَ أُسْطُوَانَتَيْنِ **[أي: سوارَ المسجد]**، فَأَدْنَاهُ إِلَى سَارِيَةٍ، فَقَالَ: **"صَلِّ إِلَيْهَا"**[15].

فالغايةُ العامّةُ من مجموعِ هذه الأحاديث أنّ سَتْرَ المصلّي لصلاتِه سُنَّةٌ مؤكَّدةٌ لا ريبَ فيها، فإذا ما قمتَ للصّلاةِ -أخي المصلّي- فلن يُعيقَكَ أن تسترَ صلاتَك؛ أن تقتربَ من جدارٍ أو تضعَ أمامَك شيئًا ما.

وأمّا في الحرم المكّي؛ فيجوز للمصلّي أنْ يرفعَ يدَه لتنبيه المُعترضين صلاتَه، وأمّا إنْ كان المصلّي واضعًا سُترةً أمامه في صلاةِ فريضةٍ مع الإمام واعترضَه أحدٌ، فالإمامُ نفسُه سُترةٌ لكلِّ المصلّين، نظرًا لصعوبةِ التّحرُّكِ في الحرمين المكّيّ والنّبويّ أيضًا كما قال العلماءُ.

2- <u>إقامةُ الصُّفوف في الصَّلاة:</u>

- عَنْ أَبِي مَسْعُودٍ، قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَمْسَحُ مَنَاكِبَنَا فِي الصَّلَاةِ، وَيَقُولُ: **"اسْتَوُوا، وَلَا تَخْتَلِفُوا، فَتَخْتَلِفَ قُلُوبُكُمْ ..."**[16].

[يمسحُ مناكبهم: يُقرّبُهم مَنكبًا جنبَ المنكب].

---

[13] أخرجه ابن حبّان في صحيحه، وصحّحه الألباني.

[14] أخرجه أبو داود في سننه، وصحّحه الألباني.

[15] أخرجه البخاري في صحيحه.

[16] أخرجه مسلم في صحيحه.

[استووا ولا تختلفوا: أي لا تختلفْ أجسادُكم في الصّلاة، ولْتكنْ معتدلةً على حدٍّ واحدٍ].

- وعن أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: **"سَوُّوا صُفُوفَكُمْ، فَإِنَّ تَسْوِيَةَ الصُّفُوفِ مِنْ إِقَامَةِ الصَّلَاةِ"**[17].

أي: اعتدال المُصلّين في صفوفِهم مِن تمام الصّلاة وكمالِها.

- وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: **"...وَأَقِيمُوا الصَّفَّ فِي الصَّلَاةِ، فَإِنَّ إِقَامَةَ الصَّفِّ مِنْ حُسْنِ الصَّلَاةِ"**[18].

- وعَنْ جَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ، قَالَ: خَرَجَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ فَقَالَ: **"...أَلَا تَصُفُّونَ كَمَا تَصُفُّ الْمَلَائِكَةُ عِنْدَ رَبِّهَا؟»**فَقُلْنَا يَا رَسُولَ اللهِ، وَكَيْفَ تَصُفُّ الْمَلَائِكَةُ عِنْدَ رَبِّهَا؟ قَالَ: **"يُتِمُّونَ الصُّفُوفَ الْأُوَلَ وَيَتَرَاصُّونَ فِي الصَّفِّ"**[19].

وهذا أمرٌ غيبيٌّ أخبرَ عنه النبيّ ﷺ، فالملائكةُ كثيرٌ، لا يُحصي عددَهم إلّا اللهُ تبارك وتعالى، والبيتُ المعمورُ في السّماءِ السّابعةِ يأتيه في كلِّ يومٍ سبعونَ ألفَ ملَكٍ، لا يعودون إليه ثانيةً، فتصوّرْ هذا العددَ من الملائكة كلَّ يوم؟ سبعونَ ألفَ ملَكٍ يأتون، ولا يعودونَ ثانيةً، فكم يكون عددُ الملائكة الذين جاؤوا إليه في عشرِ سنوات؟ وفي مئةِ سنةٍ؟ وفي ألفِ سنةٍ؟ فعدد الملائكةِ كبيرٌ، لا يحصيهم إلّا الله -تبارك وتعالى-، واللهُ قد تعهّدهم بما شاء، وبما هو أعلم.

فالنبي ﷺ يخبرنا في هذا الحديث الشّريف أنّ الملائكةَ عند ربّهم يصفّون صفًّا، ويجب على المصلّين الاقتداءَ بهم في ذلك.

- وعن النُّعْمَانَ بْنَ بَشِيرٍ، يَقُولُ: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يُسَوِّي صُفُوفَنَا حَتَّى كَأَنَّمَا يُسَوِّي بِهَا الْقِدَاحَ حَتَّى رَأَى أَنَّا قَدْ عَقَلْنَا عَنْهُ، ثُمَّ خَرَجَ يَوْمًا فَقَامَ، حَتَّى كَادَ يُكَبِّرُ فَرَأَى رَجُلًا بَادِيًا صَدْرُهُ مِنَ الصَّفِّ، فَقَالَ: **"عِبَادَ اللهِ لَتُسَوُّنَّ صُفُوفَكُمْ، أَوْ لَيُخَالِفَنَّ اللهُ بَيْنَ وُجُوهِكُمْ"**[20].

---

[17] أخرجه البخاري في صحيحه.

[18] أخرجه البخاري في صحيحه.

[19] أخرجه مسلم في صحيحه.

أكّدَ رسولُ الله ﷺ أنّه إنْ لم تُعدَلِ الصُّفوفُ وتُسوَّى فلَيخالفَنَّ اللهُ بين وجوهِ الذين اعوجّتْ صفوفُهم فلم يعدلوها، وذلك بأنّه حينما يتقدّم بعضهم على بعض في الصّف، ويتركون الفُرُجات بينهم. وكان الرّسولُ ﷺ يُعلِّم أصحابَه بالقول ويهذّبهم بالفعل، فظلَّ يقيمهم بيده، حتّى ظنّ الرّسول ﷺ أنّهم قد عرفوا وفهموا، وفي إحدى الصّلوات رأى أحدَ الصّحابة قد بدا صدرُه في الصّفِّ من بين أصحابه، فغضبَ الرّسول ﷺ وقال: **"لَتُسَوُّنَّ صفوفَكم أو لَيخالفَنَّ اللهُ بين وجوهكم"**[21]؛لَتُسَوُّنَّ صُفُوفَكُم: اللام للقسم، والمعنى: والله لتسوُّنَّ. أَوْ لَيُخَالِفَنَّ اللَّهُ: لَيُوْقِعَنَّ الخلافَ. بَينَ وُجُوهِكُم: بين وجهات نظرِكم؛ فيكون لكلٍّ وجهةٌ وتتفرّقوا.

- وعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: **"أَقِيمُوا صُفُوفَكُمْ، فَإِنِّي أَرَاكُمْ مِنْ وَرَاءِ ظَهْرِي، وَكَانَ أَحَدُنَا يُلْزِقُ مَنْكِبَهُ بِمَنْكِبِ صَاحِبِهِ، وَقَدَمَهُ بِقَدَمِهِ"**[22].

[أقيموا صفوفَكم أي: سَوُّوا صفوفَكم، وتلاصقُوا بغير خللٍ].

قِيلَ لِأنسٍ بن مالكٍ حينما قَدِمَ إلى المدينة المنوّرة بعد وفاة رسول الله ﷺ: **"ما أنكرتَ منّا منذُ يومِ عاهدتَ الله؟"** فقال: **"ما أنكرتُ شيئًا إلّا أنّكم لا تقيمونَ الصّفوفَ"**.

فهذا في عهد التّابعين، فماذا سيُنكَرُ علينا في أيّامنا هذه؟

إنّنا في مِثل هذه الأيام، نرى عند الرجال والنساء الكثيرَ من العشوائيّةِ في ركنِ الصلاة؛ اعوجاجٌ في الاصطفاف، عدمُ سَترٍ للصلاة، عدمُ إتمامٍ للصفوف، التّحرُّكُ المستمر عندما يكون الصّفُّ ناقصًا، وقد رأينا الخسرانَ المترتّبَ على ذلك من خلال الأحاديثِ الشريفة؛ فلا تسألَنَّ -أخي المُصلّي- عما نعاني من تفريقِ القلوب، ومن دخولِ الشيطان في فُرُجَاتِ الصّفوف.

إننا في كثيرٍ من مساجدِنا -للأسف- عاجزون عن تنظيمِ أنفسِنا في الصّلاة، وعن الاستواءِ فيها، وعن مُحاذَاةِ المناكبِ والأقدام، فإذا كنّا لا نستطيعُ إعطاءَ الصّلاةِ حقَّها، فكيف للبركةِ أنْ تحُلَّ علينا وتتركَ الأثرَ فينا؟ نسألُ الله أنْ يُصلِحَ حالَنا.

[20] أخرجه مسلم في صحيحه.

[21] أخرجه أحمد في مسنده، وصحّحه الألباني.

[22] أخرجه البخاري في صحيحه.

3- استواءُ الظّهرِ في الرّكوع:

- قَالَ أَبُو حُمَيْدٍ فِي أَصْحَابِهِ: "رَكَعَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ثُمَّ هَصَرَ ظَهْرَهُ"[23]، وهَصَرَ ظهرَه: ثناه ثنيًا شديدًا.

- وعن وَابِصَةَ بْنَ مَعْبَدٍ، يَقُولُ: رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يُصَلِّي، "فَكَانَ إِذَا رَكَعَ سَوَّى ظَهْرَهُ، حَتَّى لَوْ صُبَّ عَلَيْهِ الْمَاءُ لَاسْتَقَرَّ"[24].

- وعَنْ عَائِشَةَ، قَالَتْ: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ "...وَكَانَ إِذَا رَكَعَ لَمْ يُشْخِصْ رَأْسَهُ، وَلَمْ يُصَوِّبْهُ"[25].

[لم يُشخِصْ ظهرَه: لم يرفعْ]، [لم يصوِّبْ: لم يُخفِض].

4- دُعاءُ الوقوفِ مِن الرّكوع:

عَنْ رِفَاعَةَ بْنِ رَافِعٍ الزُّرَقِيِّ، قَالَ: "كُنَّا يَوْمًا نُصَلِّي وَرَاءَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَلَمَّا رَفَعَ رَأْسَهُ مِنَ الرَّكْعَةِ قَالَ: سَمِعَ اللَّهُ لِمَنْ حَمِدَهُ"، قَالَ رَجُلٌ وَرَاءَهُ: رَبَّنَا وَلَكَ الحَمْدُ حَمْدًا كَثِيرًا طَيِّبًا مُبَارَكًا فِيهِ، فَلَمَّا انْصَرَفَ، قَالَ: «مَنِ المُتَكَلِّمُ» قَالَ: أَنَا، قَالَ: "رَأَيْتُ بِضْعَةً وَثَلَاثِينَ مَلَكًا يَبْتَدِرُونَهَا أَيُّهُمْ يَكْتُبُهَا أَوَّلُ"[26].

5- دُعاءُ ما بين السّجدتين:

إنّ الموضعَ الذي بين السّجدتين مِن مواضعَ استجابةِ الدعاء، ووردَت في السنّة بعضُ الأدعية في هذا الموضع:

---

[23] أخرجه البخاري في صحيحه.

[24] أخرجه ابن ماجة في سننه، وصحّحه الألباني.

[25] أخرجه مسلم في صحيحه.

[26] أخرجه البخاري في صحيحه.

- فعن حُذَيْفَةَ أَنَّ النَّبِيِّ ﷺ كان يَقُولُ بَيْنَ السَّجْدَتَيْنِ:"رَبِّ اغْفِرْ لِي، رَبِّ اغْفِرْ لِي"[27].

- وعَنِ عبدِ اللهِ بْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنه قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ بَيْنَ السَّجْدَتَيْنِ فِي صَلَاةِ اللَّيْلِ: "رَبِّ اغْفِرْ لِي، وَارْحَمْنِي، وَاجْبُرْنِي، وَارْزُقْنِي، وَارْفَعْنِي"[28].

6- التَّشَهُّدُ:

عَنْ عَامِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ الزُّبَيْرِ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: "كَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا قَعَدَ يَدْعُو، وَضَعَ يَدَهُ الْيُمْنَى عَلَى فَخِذِهِ الْيُمْنَى، وَيَدَهُ الْيُسْرَى عَلَى فَخِذِهِ الْيُسْرَى، وَأَشَارَ بِإِصْبَعِهِ السَّبَّابَةِ، وَوَضَعَ إِبْهَامَهُ عَلَى إِصْبَعِهِ الْوُسْطَى، وَيُلْقِمُ كَفَّهُ الْيُسْرَى رُكْبَتَهُ"[29].

[قَعد يَدْعُو: جلس للتَّشهُّد]، والتَّشهُّد هو قراءة: **"التَّحيّاتُ لله والصّلواتُ الطَّيبات، السَّلام عليكَ أيُّها النَّبي ورحمةُ اللهِ وبركاته، السَّلام علينا وعلى عبادِ اللهِ الصّالحين..."**، وسُمّي دُعاءً لاشتمالِه على الدعاء؛ فإنَّ قوله: **"السَّلام عليك"**، **"والسَّلام علينا"** دعاء.

[وضع يَده اليُمْنَى على فَخِذِه اليُمْنَى، ويَده اليُسْرَى على فخِذِه اليُسْرَى: بَسَطَ يده اليُمنى على فَخِده اليُمنى واليُسرى كذلك]؛ والحكمة في وضعها عند الرُّكبة أو على الرُّكبة أو الفَخِذ أو الفَخِذ مَنْعُها من العَبث، ووضع اليَد على الفَخِذ لا يُخالف وضعها على الرُّكبة؛ لأنّ مَن وضعَ يده على فَخذه ستصل أطرافُ أصابِعَه إلى الرُّكبة.

-أشَارَ بِإِصْبَعِهِ السَّبَابة: وذلك بأنْ يجعلَها قائمةً في جميع الأحوال المتقدّمة؛ والحكمةُ في الإشارة بها إلى أنّ المَعبود سبحانه وتعالى واحدٌ؛ ليجمعَ في توحيده بين القولِ والفعلِ والاعتقاد.

[وضَع إبْهَامَه على إِصْبَعِهِ الوُسْطَى: حَلَّقَ بالإبْهَام والوسْطى].

[يُلقِمُ كَفّه اليُسرى رُكْبَتَه: يعطِفُ أصابعَها على الرُّكبة].

---

[27] رواه النّسائي، وصحّحه الألباني.

[28] أخرجه ابن ماجة في سننه، وصحّحه الألباني.

[29] أخرجه مسلم في صحيحه.

7- التناسُب بين أركان الصّلاة:

- عَنِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ، قَالَ: **"رَمَقْتُ الصَّلَاةَ مَعَ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَوَجَدْتُ قِيَامَهُ فَرَكْعَتَهُ، فَاعْتِدَالَهُ بَعْدَ رُكُوعِهِ، فَسَجْدَتَهُ، فَجَلْسَتَهُ بَيْنَ السَّجْدَتَيْنِ، فَسَجْدَتَهُ، فَجَلْسَتَهُ مَا بَيْنَ التَّسْلِيمِ وَالِانْصِرَافِ، قَرِيبًا مِنَ السَّوَاءِ"**[30].

يصف البراء -رضي الله عنه- صلاة النبيّ ﷺ حيث كان يراقبه بتأمُّلٍ ليعرفَ كيف يصلّي فيتابعَه، فذكرَ أنّها متقاربةٌ متناسبةٌ، فإنّ قيامَه للقراءةِ وجلوسَه للتشهُّدِ يكونان مناسبَين للرّكوع والاعتدالِ والسّجود، فلا يُطيلُ القيامَ -مثلًا- ويُخفِّفُ الرّكوعَ، أو يطيلُ السجودَ ثمّ يخفِّفُ القيامَ أو الجلوسَ، بل يجعلُ كلَّ ركنٍ مناسباً للرّكن الآخر، وليس معناه: أنّ القيامَ والجلوسَ للتشهُّد بقدْرِ الرّكوع والسّجود، وإنّما معناه: أنّه لا يُخَفِّفُ واحداً ويُثقِلُ الآخر.

- وعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: **"إِنِّي لَا آلُو** [لا أُقَصِّرُ] **أَنْ أُصَلِّيَ بِكُمْ، كَمَا رَأَيْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُصَلِّي بِنَا،** قَالَ ثَابِتٌ: كَانَ أَنَسٌ بْنُ مَالِكٍ يَصْنَعُ شَيْئًا لَا أَرَاكُمْ تَصْنَعُونَهُ: **كَانَ إِذَا رَفَعَ رَأْسَهُ مِنَ الرُّكُوعِ انْتَصَبَ قَائِمًا،** حَتَّى يَقُولَ القَائِلُ: **قَدْ نَسِيَ،** وَإِذا رَفَعَ رأسَهُ مِنَ السّجدة مَكَثَ، حَتَّى يَقُولَ القَائِلُ: **قَدْ نَسِيَ"**[31].

فكان أنس يقول إنّي سأجتهدُ فلا أُقَصِّرُ أنْ أصلّيَ بكم كما كان الرّسول ﷺ يصلّي بنا، لتقتدوا به. فقال ثابتٌ مخاطبًا قومَه فيما بعد: كان أنسٌ يصنع شيئًا من تمام الصّلاة وحُسنِها لا أراكُم تصنعون مثله؛ كان يطيلُ القيامَ بعد الرّكوع، والجلوسَ بعد السّجود، وكان إذا رفعَ رأسَه من الرّكوعِ وقفَ مُنتصِبًا حتّى يعتقدَ المأمومُ -مِن طولِ قيامه- قد نَسِيَ أنّه في القيام الذي بين الرّكوعِ والسّجود، وإذا رفعَ رأسَه في السّجدةِ بقيَ جالسًا حتّى يعتقدَ المأمومُ -مِن طولِ جلوسِه- قد نَسِيَ أيضًا.

---

[30] أخرجه مسلم في صحيحه.

[31] متّفق عليه.

السّنّةُ الرّابعة: السّفَرُ:

- عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: **"إِذَا خَرَجَ ثَلَاثَةٌ فِي سَفَرٍ فَلْيُؤَمِّرُوا أَحَدَهُمْ"**[32].

يأمر الرّسولُ ﷺ المسافرينَ أن يُؤَمِّروا عليهم واحدًا منهم، يكون أفضلَهم، وأجودَهم رأيًا؛ ليتولّى تدبيرَ شؤونِهم؛ لأنّهم إذا لم يُؤَمِّروا واحدًا صارَ أمرُهم فوضى.

- وعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَامِرِ بْنِ رَبِيعَةَ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: **"رَأَيْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُصَلِّي عَلَى رَاحِلَتِهِ حَيْثُ تَوَجَّهَتْ بِهِ"**[33].

كان النبيّ ﷺ لا يَتكلّفُ النُّزولَ من فوقِ راحِلته، بل يصلّي عليها، وهذا إذا كان في سَفَرٍ، فإنّه يُصلّي حيث كان وجْه رِكَابه، سواءً كان في جِهةِ القِبلةِ أو غيرِ جهةِ القِبلة، فإذا كانتِ الصّلاةُ مفروضةً فإنّه يَنزلُ عن دَابّته، ويصلّي على الأرض مُستقبلًا القِبْلة. **فصلاةُ الفريضةِ لا بدّ من إيقاعِها على الأرض، إلّا لعُذرٍ شَرعيٍّ كمرضٍ أو مَطرٍ أو خَوفِ عدوٍّ فلا بأسَ أن يؤدّيَها على راحِلتِه، وبالأخصّ إذا خشيَ خروجَ وقتِها.**

فاحرصْ -أخي المسلم- على أنْ تتركَ ركعاتٍ في كلِّ راحلةٍ ترتحلُ عليها.

السّنّةُ الخامسة:التكبير حين الصُّعُودُ والتسبيح حين النُّزُولُ:

- عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: **"كُنَّا إِذَا صَعِدْنَا كَبَّرْنَا، وَإِذَا نَزَلْنَا سَبَّحْنَا"**[34].

إنّ مُناسبةَ التّكبيرِ عند الصّعودِ إلى المكانِ المرتفعِ هي أنّ الاستعلاءَ والارتفاعَ محبوبٌ للنّفوس لِمَا فيه من استشعارِ الكبرياء، فيستعظمُ نفسَه فلذا يقول: "الله أكبر"، يعني: يردُّ نفسَه إلى الاستصغار، أمّا كبرياءُ الله عزّ وجلّ،

---

[32] أخرجه أبو داود في سننه، وقال الألباني: حسنٌ صحيح.

[33] أخرجه البخاري في صحيحه.

[34] أخرجه البخاري في صحيحه.

فشرعٌ لمن تلبّس بالارتفاعِ أنْ يذكرَ كبرياءَ اللهِ تعالى، وأنّه أكبرُ من كلّ شيء، فيكبّره ليشكرَ له ذلك، فيزيده من فضلِه.

وإنّ مُناسبةَ التّسبيحِ عند الهبوطِ لكون المكانِ المنخفضِ محلّ ضِيقٍ فيشرعُ فيه التّسبيح؛ لأنّه من أسبابِ الفرجِ، كما وقعَ في قصّةِ يونسَ -عليه السّلام- حين سبّح في الظّلمات فنُجّيَ من الغمّ، وبما أنّ النّزولَ سُفولٌ ودُنُوٌّ وذلٌّ فيقول: **"سبحان الله"**، يعني: أنزّهُ اللهَ سبحانَه وتعالى عن السُّفولِ والنُّزولِ؛ لأنّه سبحانه وتعالى فوق كلِّ شيء. كذلك في الطّائرةِ فعند ارتفاعِها تكبّرُ، وعند نزولِها المطار تسبّحُ.

السّنّةُ السّادسة: ردُّ السّلام:

- عَنْ صُهَيْبٍ، أَنَّهُ قَالَ: **"مَرَرْتُ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ يُصَلِّي، فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ، فَرَدَّ إِشَارَةً»، قَالَ: «وَلَا أَعْلَمُهُ إِلَّا قَالَ إِشَارَةً بِأُصْبُعِهِ"**[35].

يُخبِرُ صُهَيبٌ الرُّوميُّ رضيَ اللهُ عَنه أنَّه مرَّ بالنبيِّ ﷺ وهوَ يُصلّي فألْقَى صُهيبٌ السَّلامَ على النبيِّ ﷺ، فردَّ عليه إشارةً، أي: فردَّ النبيُّ صلَّى ﷺ السَّلامَ عليه وكان ردُّه بالإشارةِ، وكانتْ إشارتُه ﷺ لِصُهَيبٍ بِإصْبَعِهِ، وهذا فِعلٌ قليلٌ لا يضرُّ.

- **وعَنْ ابْنِ عُمَرَ، قَالَ: قُلْتُ لِبِلَالٍ: كَيْفَ كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَرُدُّ عَلَيْهِمْ حِينَ كَانُوا يُسَلِّمُونَ عَلَيْهِ وَهُوَ فِي الصَّلَاةِ؟ قَالَ: «كَانَ يُشِيرُ بِيَدِهِ"**[36].وهذا يدلُّ على عِظَم السّلام.

- وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: **"إِذَا انْتَهَى أَحَدُكُمْ إِلَى الْمَجْلِسِ، فَلْيُسَلِّمْ فَإِذَا أَرَادَ أَنْ يَقُومَ، فَلْيُسَلِّمْ فَلَيْسَتِ الْأُولَى بِأَحَقَّ مِنَ الْآخِرَةِ"**[37].

وهذا يدلّ على أنّ السّنّة في السّلام تكون في المجيء إلى المجلس، وتكون عند المفارَقة.

---

[35] أخرجه أبو داود في سننه، وصحّحه الألباني.

[36] أخرجه التّرمذي في سننه، وصحّحه الألباني.

[37] أخرجه أبو داود في سننه، وقال الألباني: حسنٌ صحيح.

- وحدّثَ معاويةُ بن قرة عن أبيه قال: **"يا بُنيّ! إنْ كنتَ في مجلسٍ ترجو خيرَه فعجلتْ إليك حاجةٌ فقل (السلام عليكم)، فإنك شريكُهم فيما أصابُوا في ذلك المجلس".**

فحتّى عند مغادرتِك المجلسَ فإنّك سوف تصيبُ من الأجرِ الذي سيصيبونه مِن بعدك إذا سلّمتَ عند المُفارقة، لِمَا في ذلك من جمالِ الأدبِ والاستئذانِ واحترامِ الجُلساء.

السّنّةُ السّابعة: عند الدُّخولِ إلى النّاس، والانصرافُ مِن عندِهم:

- عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ بُسْرٍ، قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ **"إِذَا أَتَى بَابَ قَوْمٍ لَمْ يَسْتَقْبِلِ الْبَابَ مِنْ تِلْقَاءِ وَجْهِهِ، وَلَكِنْ مِنْ رُكْنِهِ الْأَيْمَنِ، أَوِ الْأَيْسَرِ ..."**[38].

وهذا التصرُّف غايةٌ في الأدب؛ فقد كان الرّسول ﷺ يفسحُ المجالَ من خلال ذلك لأهلِ البيت أنْ يرَوا مَن على بابِهم، كما يدلّ على العفّة فلا يدَعُ مجالًا لرؤية أي شيءٍ ولو خطأً.

ومن الآداب -أيضًا- أنْ يستأذنَ الإنسانُ ثلاثًا، فإنْ لم يُؤذَنْ له فلْيرجعْ، وقد تكلّم العلماءُ كثيرًا في هذا الباب، ووصلوا حديثًا إلى رنّة الهاتف، فلا يجوز للإنسانِ الإكثارُ من طرق الباب أو الرّنين على الهاتف مادام ليس هنالك حاجةٌ مُلِحّةٌ.

- وعن ابن عمرَ عن الرسول ﷺ قال: **"إذا زارَ أحدُكم أخاه فجلسَ عندَه، فلا يقومَنَّ حتى يستأذنَه"**[39].

وهذا يدلُّ على احترام المُضِيف، وإجلالِ حُرمةِ بيته، وتطييبِ خاطرِه.

---

[38] أخرجه أبو داود في سننه، وصحّحه الألباني.

[39] أخرجه الفردوس الديلمي في مسنده، وصحّحه الألباني.

السّنّةُ الثّامنة: عند النّوْم:

- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: **"إِذَا أَوَى أَحَدُكُمْ إِلَى فِرَاشِهِ فَلْيَنْفُضْ فِرَاشَهُ بِدَاخِلَةِ إِزَارِهِ، فَإِنَّهُ لَا يَدْرِي مَا خَلَفَهُ عَلَيْهِ، ثُمَّ يَقُولُ: بِاسْمِكَ رَبِّ وَضَعْتُ جَنْبِي وَبِكَ أَرْفَعُهُ، إِنْ أَمْسَكْتَ نَفْسِي فَارْحَمْهَا، وَإِنْ أَرْسَلْتَهَا فَاحْفَظْهَا بِمَا تَحْفَظُ بِهِ عِبَادَكَ الصَّالِحِينَ"**[40].

يدور معنى هذا الحديث الشّريف حول بيانِ أذكارِ النّوم، وهي اللّحظةُ التي يسلّمُ الإنسانُ فيها روحَه لربّه في لحظةٍ لا يملكُ فيها حولًا ولا قوةً، فيتركها في يدِ خالقِها يحفظُها، ويردُّها مع تمامِ التّفويض لله تعالى. وحكمةُ الذّكرِ والدّعاءِ عند النّوم واليقظة: **أنْ تكونَ خاتمةُ أعمالِه على الطّاعة، وأوّلُ أفعاله على الطّاعة.**

وفي هذا الحديث المبارك يبيّن لنا النبي ﷺ ما يُسَنُّ على العبد فعله وقوله عند النوم، فأرشدنا النبي ﷺ إلى:

- **الجانب الفعلي**؛ فقال: **"فَلْيَنْفُضْ"** فلربّما دخلَ الفِراشَ بعد مغادرةِ العبدِ له بعضُ الحشراتِ المؤذية، أو أنّه تلوثَ بالغبار ونحوه، فأمر النبيّ ﷺ بنفضِ الفِراشِ قبل النّوم.

- **آلةُ النّفضِ والتّنظيف**؛ فقال: **"فلينفضْ فِرَاشَهُ بِدَاخِلَةِ إِزَارِهِ"** والإزارُ: هو ما يُلبسُ أسفلَ البدن، والمقصود: طرفُ الثّوب الدّاخلي، لأنّه أسهلُ للنّفض، وحتّى لا يصيبَ ظاهرَ الإزارِ شيءٌ من القَذَر ونحوه، كما أنّه أسترُ للعورة، والغالبُ على العرب أنّهم لم يكنْ لهم ثوبًا غيرَ ما هو عليهم من إزارٍ ورداءٍ، فالأهمُّ نفضُ الفراش سواءٌ كان النّفضُ بملابسَ متصلةٍ (يرتديها الشّخص) أو منفصلةٍ (لا يرتديها)، أو بما ينفض به الفراش من غير ذلك.

- **العلّةُ من هذا النّفض والتّنظيف**؛**"فإنّهُ لا يدري ما خلَفَه عليه"** وهذا يدلّ على حرصِ الشّريعة على سلامةِ الأبدان، وهكذا انتهتْ هنا السّنّةُ الفعليّة مع بيان علّتها.

- وعَنْ حُذَيْفَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا أَخَذَ مَضْجَعَهُ مِنَ اللَّيْلِ، وَضَعَ يَدَهُ تَحْتَ خَدِّهِ، ثُمَّ يَقُولُ: **"اللَّهُمَّ بِاسْمِكَ أَمُوتُ وَأَحْيَا"**[41].

---

[40] أخرجه البخاري في صحيحه.

[41] أخرجه البخاري في صحيحه.

- وعن البراءِ بن عازبٍ، يقول: كانَ رسولُ اللهِ ﷺ إذا أوى إلى فراشِه نامَ على شقِّهِ الأَيْمَنِ، ثُمّ قالَ: "اللهُمّ أسلمْتُ نفسِي إليك، ووجّهتُ وجهي إليكَ، وفوّضتُ أمرِي إليكَ، وألجأتُ ظهرِي إليكَ، رغبةً ورهبةً إليك، لا ملجأَ ولا منجا منكَ إلّا إليكَ، آمنتُ بكتابِكَ الذي أنزلْتَ، ونبيِّكَ الذي أرسلْتَ"[42].

وهذا ممّا يتّصلُ بآدابِ النّوم، والاضطجاع، كيف تكون هيئتُه عند إرادةِ النّوم؟ وكذلك لو لم ينمْ، كيف يكون حاله حينما يضطجع؟ وهل ينام الإنسان على بطنه مثلًا؟ ذلك أنّها نومةٌ يبغضها الله تعالى...

فقد كان الرّسول ﷺ يضع كفَّه اليمنى تحت خدِّه الأيمن، وينام على الشّقّ الأيمن، وهذا أنفعُ للبدن، وقد تكلَّمَ الإمام ابنُ القيم -رحمه الله- عن هذا، وبيَّنَ منافعَه، فالقلبُ في الشّقّ الأيسر، وإذا نام الإنسانُ على شقّه الأيسرِ فإنّ ذلك يكونُ أثقلَ لنومه، وأمّا إذا كان نائمًا على شقّه الأيمنِ فإنّ قلبه يكون مُعلّقًا، فيكون ذلك أدعى إلى يقظته، وخفّةِ نومه، إلى غير ذلك ممّا يتّصلُ بصحّةِ الإنسان من جهةِ المعدة، ونحو ذلك.

كما أنّ إسلامَ النّفسِ لله تعالى يعني ألّا يكونَ للعبد منازعةٌ لربّه، فيستسلم بكليّته لربّه، والله جلّ جلاله يقول في كتابه العزيز: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ﴾(النّساء: 125).

السّنّةُ التاسعةُ: عند الطّعام:

علَّمنا الرَّسولُ ﷺ احترامَ النِّعمِ وتَقديرَها، كما حثَّ على شُكرِ المنَنِ والخيرِ الَّذي يُسخِّرُه سُبحانَه وتَعالَى للنَّاسِ، فعَلَّمَنا الكثيرَ مِن الآدابِ الخاصَّةِ بالطَّعامِ والشَّرابِ، وكَيفيَّةِ الوقايةِ مِن الشَّيطان:

- فعن عَائِشَةَ، زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ: أَنَّهَا كَانَتْ إِذَا مَاتَ المَيِّتُ مِنْ أَهْلِهَا، فَاجْتَمَعَ لِذَلِكَ النِّسَاءُ، ثُمَّ تَفَرَّقْنَ إِلَّا أَهْلَهَا وَخَاصَّتَهَا، أَمَرَتْ بِبُرْمَةٍ مِنْ تَلْبِينَةٍ فَطُبِخَتْ، ثُمَّ صُنِعَ ثَرِيدٌ فَصُبَّتِ التَّلْبِينَةُ عَلَيْهَا، ثُمَّ قَالَتْ: كُلْنَ مِنْهَا، فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: "التَّلْبِينَةُ مُجِمَّةٌ لِفُؤَادِ المَرِيضِ، تَذْهَبُ بِبَعْضِ الحُزْنِ"[43].

[42] أخرجه البخاري ومسلم في صحيحهما.

[43] أخرجه البخاري في صحيحه.

فمِنْ هدي النبيّ ﷺ أنّه كان يأمرُ عائشةَ وغيرَها من نساءِ الصّحابة أنْ يصنعْنَ للمريضِ أو للمحزون الذي وقع عنده ظرفُ وفاةٍ **(التّلبينة)**؛ وهي مُكوّنةٌ مِن الشُّوفان والنّخالة والحليب والعسل، وهي في الأغلب مُتَقَبَّلَةٌ عند الصّغار والكبار.

- وعن أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: **"مَا عَابَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ طَعَامًا قَطُّ، إِنِ اشْتَهَاهُ أَكَلَهُ وَإِلَّا تَرَكَهُ"**[44].

أجل! لم يُعِبْ النّبي ﷺ أي أنواع الطعام لا في بيته ولا في بيوتِ النّاس، إنِ اشتهاه أكله، وإنْ كرهه تركه.

- وعن جَابِرٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **"إذا وقعت لقمة أحدكم، فليأخذها، فليمط ما كان بها من أذى، وليأكلها، ولا يدعها للشيطان، وَلَا يَمْسَحْ يَدَهُ بِالْمِنْدِيلِ حَتَّى يَلْعَقَ أَصَابِعَهُ، فَإِنَّهُ لَا يَدْرِي فِي أَيِّ طَعَامِهِ الْبَرَكَةُ"**[45].

أرشَدَ النَّبيُّ ﷺ إلى أنّه إذا وقعَتْ مِن يَدِ أحدٍ اللُّقمَةُ على الأرضِ أنْ يُزِيلَ ويَمسَحَ ما علَقَ بها مِن أذًى، كالتُّرابِ ونحْوِه، وهذا إذا لم تقَعْ على مَوضعٍ نجِسٍ أو قَذِرٍ، ولا يَترُكْها لِلشَّيطانِ ليَأكُلَها، ولأنَّ في تَركِها تَكبُّرًا عن أخْذِها ونِسيانًا لحقِّ اللهِ تعالَى فيها وطاعةً للشَّيطانِ في ذلك، وصارتْ تلك اللُّقمةُ مُناسِبةً للشَّيطانِ، فصارت طَعامَه، مع ما فيها مِن إضاعةِ نِعمةِ اللهِ تعالَى واستحقارِها.]يلعق": يلحس أصابعَه[.

]والبركة: الزِّيادةُ وثبوتُ الخيرِ والانتفاعُ به[، والمرادُ هنا: ما يَحصلُ به التَّغذيةُ وتَسلَمُ عاقبتُه مِن أذًى، ويُقوِّي على طاعةِ اللهِ، وغير ذلك، فربّما تكون اللقمة الأخيرة هي الدواء والغذاء.

- وعن ابْنِ كَعْبِ بْنِ مَالِكٍ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: **"كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَأْكُلُ بِثَلَاثِ أَصَابِعَ، وَيَلْعَقُ يَدَهُ قَبْلَ أَنْ يَمْسَحَهَا"**[46].

يأكل بثلاث أصابع وهذا من جمال وآداب الطعام، ويلعق يده قبل أن يمسحَها؛ وفي هذا إدراكٌ لقيمة نِعَم الله عزّ وجلّ، وتقديرها، وعدم ازدراء أي جزءٍ منها.

---

[44] أخرجه البخاري في صحيحه.

[45] أخرجه مسلم في صحيحه.

[46] أخرجه مسلم في صحيحه.

السّنّةُ العاشرةُ: الاستغفار:

- جاء في حديث الأغرّ المزني: أنَّ رسول الله ﷺ قال: **"إنّه ليُغانُ على قلبي، وإني لأستغفرُ الله في اليومِ مئةَ مرةٍ"**[47].

إنّه ليغانُ على قلبي: الغين في اللغة يُقال للعطش، وكذلك أيضًا للغين، يُقال: غِينَ على كذا، يعني: غُطِّي عليه، فيكون قوله ﷺ: **"إنّه ليُغانُ على قلبي"** يحتمل أن يكونَ بمعنى: السّتر، التّغطية، التّغشية، ونحو ذلك من المعاني، على خلافٍ بين أهل العلم في محمله؛ وبعضهم يقول: هو شيءٌ يعتري القلبَ، ممّا يقع من حديث النّفس.

ومعلومٌ لدى الجميع أنّ الرسول ﷺ قد غفر الله عزّ وجلّ له ما تقدّم من ذنبه وما تأخّر، ومع ذلك يستغفر الله تعالى ويتوبُ إليه في اليوم أكثرَ من مئةِ مرّةٍ، واستغفارُه ﷺ لا يلزمُ أن يكونَ لذنوبٍ ارتكبَها ولكنَّ ذلك لكمالِ عبوديّته وتعلُّقِه بذكرِه سبحانه، واستشعارِه عِظَمَ حقِّ الله تعالى وتقصيرِ العبدِ مهما عمل في شكرِ نعمه، وهو من باب التّشريعِ للأمّة من بعده، وليعلّمَنا وليدلَّنا على السُّبُل التي نسلكها تقرُّبًا إلى ربنا جلّ وعلا.

وعندما يُذنِب الإنسان ذنبًا، أو يقع في معصيةٍ، أو يُقصّر في عبادةٍ، فالأبواب ليست مغلقةً أمامه، وهذا من عظيم فضلِ الله تعالى علينا، فاسمعْ -أخا الإسلام- نصيحةَ رسولِك ﷺ:

عن أبي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّهُ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: **"مَا مِنْ عَبْدٍ يُذْنِبُ ذَنْبًا، فَيُحْسِنُ الطُّهُورَ، ثُمَّ يَقُومُ فَيُصَلِّي رَكْعَتَيْنِ، ثُمَّ يَسْتَغْفِرُ اللَّهَ، إِلَّا غَفَرَ اللَّهُ لَهُ"**[48].

فلا ينبغي للمؤمن العاقل أن ينامَ على سيئةٍ أو على معصيةٍ، فمِن عظَمةِ ديننا الإسلاميّ أنّه فتح أمام العبادِ بابَ المغفرةِ على الدّوام، لكنْ عليه أن يبادرَ إلى طلبِ المغفرة، وإلى عدمِ الثّبات على السّيّئات، وإلى إلحاقِها بحسناتٍ ماحياتٍ، يقول الحقّ جلّ جلاله: ﴿إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ﴾(هود: 114).

---

[47] أخرجه مسلم في صحيحه.

[48] أخرجه أبو داود في سننه، وصحّحه الألباني، وردَّ ابن مزدي على من ضعّف هذا الحديث.

السّنّةُ الحادية عشْرة: السّجود:

السّجودُ اعترافٌ بأنّ اللهَ تعالى صاحبُ الفضل والمنّة، وشكرٌ له، ووعدَ الله تعالى الشّاكرين بالزّيادة، قال جلّ جلاله:﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾(إبراهيم: 7).

والسّجودُ من أعظمِ الأعمالِ التي يجب تربيةُ الأجيالِ عليها، ذلك أنّ أقلَ ما يفعله العبدُ إزاءَ تعرّضه لكرمِ الله تعالى هو الشّكر، والعبدُ أقربُ ما يكون لربّه وهو ساجدٌ.

عَنْ أَبِي بَكْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ كَانَ"إِذَا جَاءَهُ أَمْرُ سُرُورٍ أَوْ بُشِّرَ بِهِ خَرَّ سَاجِدًا شَاكِرًا لِلَّهِ"[49].

السّنّةُ الثّانية عشْرة: ذِكرُ اللهِ كثيرًا:

إنّ ذكرَ الله تعالى يُعد من أفضلِ الأعمالِ التي يمكن للإنسانِ أنْ يقومَ بها، وذلك لأنّها تزيدُ من قربه إلى الله تعالى وتثبّتُ قلبَه، كما أنّها تُزيلُ الهمّ والغمّ، وتجلبُ الرّاحةَ والسّكينةَ إلى النّفس. وقد وردَ في القرآن الكريم العديدُ من الآيات التي تحثّ على ذكر الله وتُحدّثُ عن فضله، كقوله تعالى: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ﴾(البقرة: 152).

وإذا ما كنتَ ترغب في تحقيقِ السّكينةِ الدّاخليّةِ والقربِ إلى الله تعالى، فعليك بالإكثارِ من ذكرِ اللهِ عزّ وجلّ والتّسبيحِ والتّهليلِ بشكلٍ مُستمِر، فلا تتردّدْ في الإكثارِ من ذكرِ الله العظيم، والبحثِ عن القرب إليه، فإنَّ في ذكرِ الله جلّ جلاله تطمئنُّ القلوب وتتحقّقُ السّعادة والطّمأنينة.

- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، يَسِيرُ فِي طَرِيقِ مَكَّةَ فَمَرَّ عَلَى جَبَلٍ يُقَالُ لَهُ جُمْدَانُ، فَقَالَ: «سِيرُوا هَذَا جُمْدَانُ سَبَقَ الْمُفَرِّدُونَ» قَالُوا: وَمَا الْمُفَرِّدُونَ؟ يَا رَسُولَ اللهِ قَالَ: "الذَّاكِرُونَ اللهَ كَثِيرًا، وَالذَّاكِرَاتُ"[50].

بيَّنَ النبيّ ﷺ منزلةَ الذّاكرينَ اللهَ كثيرًا، وأنّهم قد انفردوا وسبقوا غيرهم بنيلِ الدّرجات العُلَى في جنّات النّعيم، وشبّههم بجبل جُمدان الذي انفردَ عن غيره من الجبال، ومن وصلَ إليه أولًا ممّن قدِمَ من المدينة إلى مكّة؛ فقد سبقَ غيره بالوصول لمكّة.

---

[49] أخرجه أبو داود في سننه، وصحّحه الألباني.

[50] أخرجه مسلم في صحيحه.

أسألُ اللهَ العظيم أنْ يجعلَني وإيّاكم في زمرةِ النبيّ ﷺ، ومن المُسْتَنّيْنَ بسُنَّتِه وهديِه، أقول هذا والحمدُ للهِ ربِّ العالمين، والصّلاةُ والسّلامُ على سيّدِ المرسلين سيّدِنا ونبيِّنا مُحَمَّدٍ، وعلى آله وصحبه أجمعين.

تنويه: مادة المحاضرة جمعت من مصادر عدة وجميع المحاضرات في المدونة ليست كتابة حرفية لما ورد في المحاضرة؛ إنما تمت إعادة صياغتها لتُناسب القرّاء وبما لا يُخلُّ بروح المحاضرة ومعانيها